سراب

بقلم: نبيلة عزوزي
المغرب

المساء يقترب، والساحة الفسيحة تعج بالناس، وهو متوقع في أعماق غربته قبالة المقهى، التعب يتسرب إلى جسده النحيل، وكلما مسح عرق جبينه لطخ وجهه باللون الأسود .. درهم واحد ويضمن وجبة اليوم : الخبز والشاي ... آه، وأمه التي تنزف رئتاها دما كلما سعلت، كم كد ليوفر لها ثمن الدواء، حتى الشمعة استغنى عنها، فليالي الصيف قصيرة مقمرة ... ينام باكرا ليستيقظ باكرا، حتى سعال أمه لم يعد يؤرقه، فقد ألفه، لكنها إذا استغرقت في النوم وانقطع سعالها، يهب فزعا ليتحسس كفها ونبضاتها،ويظل يرقبها إلى أن تسعل، فيطمئن أنها ما تزال على قيد الحياة!

- لمع الحذاء بسرعة !

انهال عليه الأمر ...

انكفأ على الحذاء يلمعه ... وكم سعد حين اكتشف أنه حذاء مستورد من العالم المتقدم، غالي الثمن .. إنه يعرف زبائنه من خلال أحذيتهم، أشعة الشمس الغاربة تنعكس على الحذاء فتزيده لمعانا.

- حذاؤك أنيق يا سيدي!

إلا أن الرجل لم يعقب . استرق إليه النظر، كان يخفي وجهه خلف جريدة يقرؤها وقد اختفت عيناه خلف نظارتين داكنتين .. صمت وهو يمني نفسه ... هذه شخصية مهمة، أناقة وعطر أخاذ قد يجود عليّ بثمن الدواء لأمي وقد يشغلني عنده، وقد ينقذنا - أنا وأمي - من تلك الحفرة .. انعكست صورة وجهه على الحذاء اللامع، فبدا سرابا ممتدا إلى ما لا نهاية .. استرق النظر ثانية إلى زبونه، ربما لأول مرة يرفع بصره، فقد اعتاد أن ينكفئ على الأحذية،ويقبل الدرهم لاهثا وهو يدعو للزبون، حتى إنه لا ينظر إلى أعلى، إلا في فصل الشتاء، حين يرقب السماء الملبدة بالسحب، فيهرول إلى كوخه، وكم داهمته الأمطار، وجرفت الكوخ والمتاع البسيط، وهو يتشبث بأمه وبمصدر رزقه، ذلك الصندوق الصغير الذي لا يفارقه أبدا ... وكم تمنى لو منح أمه رئتيه الغضتين، وهي تسعل بحدة وترتجف بردا، وتتحسر على الكوخ الذي جرفه الطوفان !

انفرجت شفتاه عن ابتسامة شاحبة .. هذا فصل الصيف، والكوخ في أمان، لكنه تذكر أمه التي تتصبب عرقا والحمى تلهبها .. سيفرجها الله على يد هذا الزبون، سأقتني لها اليوم الدواء، لا، بل سيفحصها طبيب أخصائي في تلك المصحة الفخمة !

نفض يديه المتسختين، وهو يفسح الطريق للزبون :

- بالصحة سيدي، أنا دائما هنا!

نهض الرجل متثاقلا، مرر يده على بذلته الأنيقة، تأبط جريدته، استقل سيارته الفارهة .. هرول خلفه الصبي :

- سيدي .. الدرهم ... الدرهم !

إلا أن السيارة انطلقت كالسهم، ولم تترك خلفها سوى الدخان الأسود . ■

خطاي تغذّ السير ..

شعر: بدر عمر المطيري
السعودية

يدورون حول الحب أين هو الحب
طواه الردى عنهم وشرده الدرب
مضى الحب يمشي بين وصل وجفوة
وراء سراب تقتفي وهجه الحرب
يغيب الهوى والحب يصبح مأتما
إذا ما احتواه زيف أو مسه الذنب
تجمعتمُ حول الجمال كأنكم
نعاج أرى الأنعام عن فعلكم تنبو
يموت الهوى في وهدة الفحش والخنا
ويسمو إذا ما الحب باركه الرب
لحا الله ذي الدنيا كرهت وصالها
ففيها الهوى يعدو وفيها الهدى يحبو
محب أنا فيما أريد متيم
وحين الهوى يأتي أروح ولا أصبو
إلى الحب أسعى كلما بان صبحه
وحين يطل الوهم أتركه يخبو
معاني الهوى في مقلة الدهر لحظة
تجيء بها الذكرى ومبسمها عذب
تفيض الرؤى السوداء في كل خاطر
وخاطر أفكاري هو الموعد الخصب
تجشمت وعثاء الطريق ولم تزل
خطاي تغذ السير لا تشقى ولا تكبو
عرفت الهوى من قبل أن أدرك الصبا
وهم عرفوني في الهوى أنني الصب
رأيت الهوى كالذئب يفتك بالفتى
فحاذرْ من الحب الذي مثله الذئب
إذا المرء لم يردعه عن بعض غيه
حرام أما ينهاه عن غيه العيب؟!